



مقال مراجعة الموضوع " الخطاب النقدي في كتاب الخطاب في نهج البلاغة للدكتور عبد الحسين العمري "

م. د شيماء جودة ياسر
جامعة ذي قار / كلية الآداب

shaimaajoda@utq.edu.iq

الملخص:

يعد الخطاب النقدي في الكتاب حصيلةً يمكن من خلالها دراسة رؤى وجهود الباحث النقديّة التي من شأنها أن تعرفنا مدى عمق نظرة الكاتب، وأهمية الموضوع، وكتاب نهج البلاغة من الكتب التي شكلت دستور هذه الأمة وقعدت لها القواعد، فأقبل إليه أهل اللغة والأدب ينهلون من علومه المختلفة ويتناولونها بالاستقراء والتحليل، والخطاب النقدي في كتاب الخطاب في نهج البلاغة للدكتور العمري يزودنا بأليات الخطاب وأنماطه ومستويات ويقدم لنا الدكتور العمري من خلال عمق الرؤيا الحجاجية في الخطاب وقوة الحجة وبيانها وفصاحتها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الحجاج، نهج البلاغة، البيان.

Article review of the article "Critical discourse in the book of discourse in Nahj al-Balagha by Dr. Al-Omari"

Dr. Shaima Gouda Yasser

shaimaajoda@utq.edu.iq

University of Thi Qar / University Presidency

Abstract:

The critical discourse in the book is a result through which the researcher's critical visions and efforts can be studied, which will enable us to know the depth of the writer's view and the importance of the subject. The book Nahj al-Balagha is one of the books that formed the constitution of this nation and established its rules. People of language and literature have come to it to draw from its various sciences and approach them through induction and analysis. The critical discourse in the book Al-Khattab fi Nahj al-Balagha by Dr. Al-Omari provides us with the mechanisms of discourse, its patterns and levels, and Dr. Al-Omari presents us through the depth of the argumentative vision in the discourse, the strength of the argument, its statement and its eloquence.

Keywords: Discourse, argumentation, Nahjul Balagha, rhetoric.

مقدمة:

يعد كتاب نهج البلاغة من اهم الكتاب في التراث العربي والإسلامي عند العرب ألف الكتاب الخليفة الراشدي الرابع علي ابن ابي طالب رضي الله عنه

وهو يضم في تضاعيفه عددا من الخطب والرسائل والكلمات المجموعة منها والمتفرقة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب

وينقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام: -



قسم يتناول الخطب وقسم يتناول الرسائل وقسم بفرعين قصار الكلمات والحكم

وقد جمع هذا الكتاب ((من قبل الشريف الرضي أواخر القرن الثالث الهجري حوالي 400 هـ))¹ اي منذ حوالي الالف سنة تقريبا

ويعد كتاب نهج البلاغة مفخرة العرب بما قدمه للحضارة الإسلامية وللشريعة جمعاء ، وقد حظي كتاب نهج البلاغة باهتمام اهل العلم جميعا قال المسعودي عنه ((حفظ الناس عنه من خطبة في سائر مقاماته اربعمئة ونيف وثمانين خطبة يوردونها على البديهة وتداول الناس عنه قولاً وعملاً))²

كتاب نهج البلاغة من الكتب التي لم تصنف على انها كتاب في اللغة او في الادب بل هو كتاب بلا حدود في التعليم والتهديب الأخلاقي والمعرفي موسوعة في الوعظ والإرشاد والمعرفة والمبادئ والمنطق.

ويقول السيد محمد أمين ((حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الانفاق الا سعة وكثرة وحفظت مائة فصل من مواظ علي بن ابي طالب عليه السلام))³

وذكر ذلك غير واحد من العلماء لما فيه مضامين قيمة وثورة معرفية وممن تناول دراسة الكتاب في جانب من جوانبه الكاتب في العصر الحديث وممن تطرق

الدكتور حسين محمد العمري وهو من مواليد الشطرة جنوبي العراق، أستاذ النقد الأدبي وتحليل الخطاب في جامعة ذي قار.

تناول في هذا الكتاب السرد في نهج البلاغة وبين معانيه وفوائده وما يمتاز به كتاب نهج البلاغة من مميزات اسلوبية وبين دور الخطاب بوصفه يؤدي وظيفة تفاعلية وجزء لا يتجزأ عن البنية السردية في الخطاب.

وقد حظي كتاب نهج البلاغة عند الدكتور العمري بأهمية لأن الكتاب يمتح أهمية من قمة البلاغة التي يتربع على عرشها، ومن جانب آخر أنه اكتسب من مؤلفه ما قامت شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليه.

رؤيا الدكتور العمري للخطاب: -

جعل العمري من تصرفات الخطاب مدخلا للولوج الى عوالم الخطاب في كتاب نهج البلاغة فناقش تعريفات المصطلح في محاولة منه للإحاطة به فرأى أن الخطاب ليس فقط (واقعة لغوية)⁴

ترتبط بعلاقة بالزمن والإسناد لكنه عند الدكتور العمري أيديولوجيا تمارس وتؤسس لعملية الاقناع والادراك.

ولم ينتصر الدكتور العمري لجماعة تقيد الخطاب وتحديد دلالاته وهذا ما اوضحه في دراسة النصوص في الكتاب نهج البلاغة فدرسها على أنها خطاب مفتوح الدلالة أو متعدد الأفق يستقي منظومته المعرفية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولانت هذه المقاييس هي من اوجدت فيها قوانين اللغة.

ولم يكتف الدكتور العمري بالتطرق او تحدد ماهية الخطاب ومحاولة القبض على إلممات شتى ولكنه ناقش ارتباط الخطاب وهو ما يمثل القول والفعل وهو الناتج عن تأثير القول فاذا ارتبط القول بالفعل أصبح الخطاب فعل قولي يأتي من باب الحث والتوجيه او لوعظ والإرشاد فقد استشهد العمري خير استشهد في تحليل القول ((الكلام في وثائق ما لم تتكلم به فاذا ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به حررت في وثائقه فاحزن لسانك كما تحزن ذهنك وورقك قرب كلمة سلبت نعمة))⁵

ومن هنا جاءت النظرية او الرؤيا التي افاد منها العمري في استشهاده وتفسيره للخطاب والجوانب التي تجلت من خلالها عملية الخطاب او ان صح التعبير تقنية الخطاب في البنية السردية.



ومن خلال التعريفات او المفهومات الاصطلاحية استطاع الدكتور العمري ان يبين مدى سعة الرؤيا وحده البصيرة والبعد الادراكي الذي أولاه الإمام للكلام والخطاب مما جعل الدكتور العمري بين الاهتمام الذي منحه الامام علي ابن ابي طالب للمباشرة مع المتلقي بما تكتنفه من حركات وايماءات اذ اعتبر ان اللسان هو ترجمان او الناقل المعبر عن العقيدة والفكر.

وقد تطرق الى تناول الخطاب بشكليه الشفاهي والمدون فأورد من الشواهد ما يعينه على إيضاح الألية التي تعمل بها تقنية الخطاب كالبدء بالدعاء ثم الاستفهام عن غرض الخطبة ثم شرح ماهية الغرض والاستشهاد بما يثبت دعائم الخطبة في البنية الإدراكية عند المتلقي وإظهار الحكمة وهذه الحكمة لم تكن ملفوظا عاديا بل هي مؤثر يفجر طاقات التعبير في اللغة واستشهد ب ((تعليق الامام علي رضي الله عنه انطباع سريع ومؤثر وخاطف عن ظاهرة استوقفته))⁶

ولشده بيانها وفصاحتها وضح العمري في دراسته لها الأدوات الفنية فقال ((كان يوشحها بأدوات قنية ومقابلات صوتية ودلالية في تناسق بلاغي محكم))⁷

قدمت دراسة الخطاب في كتاب نهج البلاغة الدلالات التربوية للخطاب، فبرز بوصفه خطابا جامعا لبلاغة النص وثراء اللغة تتراسل فيه الفكرة والصوت وتتضافران في انتاج الدلالة او ما أطلق عليه العمري الإنتاج المفاهيمي

وما يتخلل الخطاب من صور استعارية ومجازية وهي كما رأى وورد في رؤية بعض الدارسين ((تهدف الى غايات محددة سلفا يتقصدنها))⁸

وهو ما أوضحه الامام في بناء كلامي وأورد ما أوضح الامام علي لكون هذه القاعدة هي اللبنة التي يبين عليها ((الخطاب الفكرة والأداء المضمون والشكل))⁹ وضل يسعى جاهدا في محاولة منه لبيان المستوى التأثيري وسياقات العملية التواصلية من خلال تحليلات يقدمها للإيقاعات الخطابية وقد استل المؤلف من الخطاب الشفهي فرعا عن هذا الأصل وهو ملاحظة التصنيفات في الخطبة فأطلق عليه الخطاب التصنيفي والذي لم يسبقه له غيره ولكن الكاتب ابدى تصريفا للمصطلح ربما أيضا لم يدرجه من سبقه واستشهد على ذلك بنصين وحديث نبوي شريف، كما لم يفعل أهمية السياق في بناء الفكرة وهو المضمار الذي تتم منه عملية تداولية الملفوظات التي تستند الى دلالات التفاعل الذي يتم بين المرسل والمتلقي وهنا برزت ((تجلي اللغة في تبادل قولي حي))¹⁰

فدرس العلاقات القائمة في بنائية الكلام ليتمكن من اكتساب طبيعة كلية شاملة في إعادة بناء المسارات المنحرفة.

ورؤيته لهذا الخطاب لكونه خطابا جديدا يختلف عما سبقه من الخطابات قصدت التهميش والاذعان ((آليات الاستبعاد والاقصاء التي يمارسها خطاب ما صد خطاب اخر تعنى حضور هذا الخطاب بدرجات بنوية متفاوتة في بنية الخطاب الأول))¹¹.

وهنا يكرس هذه الطاقات الخطابية لإعادة التوجيه للمسارات المعرفية باتجاه بيان الحقيقة.

وقد تناول الدكتور العمري ألية مفادها ربط الخطاب بثقافة الصورة قد من خلال هذا البعد المعرفي بين الواقع والخيال، بين التصور واللاتصور، إذ لا بد من وجود منظومة صورية، فنهج في دراسته للمنظومة الصورية حيوية الصورة ودورها في الخطاب، وجعل منها مرتكزا من مرتكزات بناء الفكرة في النسيج الكلامي فتجلى التصوير في خطابات الإمام متحركاً بأشكاله كافة على مستوى النصوص وهو يكاد يكون إحدى الصفات البارزة في الخطاب العلوي كما ربط بين الصورة واللفظ في دراسته للخطاب.

حاول الدكتور العمري أن يدرس ويقبض على ماهية الخطاب في كتاب نهج البلاغة ولكي يسهل عليه القبض على ماهيته قسم البنية الخطابية إلى سردية وشعرية ونصية، وبين أن طبيعة الخطاب في كتاب نهج البلاغة أو ما أطلق عليه الخطاب العلوي، تستقي من طبيعة الموقف التكوينية، فقدم الشواهد ذات



الدلالات الحجاجية وأوضح البراهين فيها، وعندما درس البنية السردية للخطاب حاول إيضاح فكرة مفادها أن الخطاب أو التعامل السرد في الخطاب العلوي لا يقوم على أساس الطبقيّة التي تفرض على الآخر الخضوع والاتباع.

عرض الدكتور العمري مقومات البنية السردية في الخطاب وانطلق من أربعة زوايا، ذا نظر إليها الدارس وتأملها بدقة وجد أن الدكتور العمري تناول الخطاب في نهج البلاغة من القواعد التي تشكل زوايا أو ربما قواعد الإدراك المعرفي وصدق الانتماء عند الفرد فالمعرفة أو التوجيه المعرفي من شأنه أن يبعد كل ما هو نمطي ودرج عليه المجتمع.

في محاولة لإعادة صياغة التوجهات الفكرية لما يراه انحراف عن جادة الإسلام الحقيقية ((لأن الأساس المعرفي للأفكار النمطية هو التصنيف))¹²

وقد استشهد الدكتور العمري قول الإمام (إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجلٌ وكله الله إلى نفسه، فهو جائرٌ عهن قصد السبيل مشغوفٌ بكلامٍ بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنه لمن افتتن به...).

ومن خلال هذه الشواهد حاول الربط بين البنية السردية في الخطاب وما يمكن أن تؤديه من إعادة بناء للأفكار وإعادة تشكيلات المعرفة ((السردية ليست مجردة من أي بعد معياري أو تقيمي أو توجيهي)).¹³

وشرح العمري مصداقية الخطاب فربطه بما عرف بأصدق الصدق عن طريق العوامل التي تسهم في وصوله إلى هذه المرحلة ومصداقية الخطاب لا تنفك عن الجدلية والإقناع والإقناع ربما يأتي عن طريق بيان وجهات نظر مغايرة لا يتوقعها المتلقي ((دعوني والتمسوا غيري، فإننا مقبلون على أمر له وجوه وألوان))¹⁴ و يكمل إلى أن يصل إلى مرحلة الحجاج القاطع بالبرهان أن وصدقية الخطاب في زرع البلاغية تمثل إجهاضاً لفكرة

الغلبة عن طريق الإقناع والجدل المنطقي. ولم تغفل من بداهة الدكتور العمري في استقراء وتحليل الخطاب فكرة الوضوح إذا أن بلاغته النصية لا تكمن في تنميق الألفاظ فالإمام لم يستخدم فصاحته في إغواء المتلقي بل أراد له خيراً وغرضاً واضحاً محدداً.

((فنظرت في أمري، فإذا طاعني قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري...))¹⁵

والاستقراء والتحليل القائم على نصوص الكتاب بدت من خلال فواتح سردية قائمة على الإيضاحات.

لم يغفل الدكتور العمري ارتباط الزمان والمكان في نسبة النص وتأثيراتها على نسبة الخطاب وعلى الرغم من أن الزمن لم يصرح بشكل مباشر لكنه لم يفعل إغفالاً تاماً والتحليل للبنية السردية لا يتوقف عند الحديث عن منطلقاتها، بل أنمط السرد وهي جزء لا يتجزأ من بنية الخطاب في السرد وأولها السرد الاستنكاري ((التشكل من مقاطع استرجاعية تحيلنا إلى أحداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد))¹⁶ وقدم رؤية مفادها أن السرد الاستنكاري لم يكن لغاية جمالية ، فهو من عفو خاطر نظراً لطبيعة الأدبية النص وذلك للتذكير بموعظة والترهيب من عقاب والترهيب في ثواب وحكم هذا وفق رؤية جمالية . أما المرة التنبؤي هو الدلالة على حدث سابق عن أوانه ويعرف هذا النمط من السرد أن ما يقدم من معلومات لا تنصرف باليقينية لكنه في الخطاب العلوي اتصف بها على نحو لا يمكن للعقل البشري تصوره ((تالله علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العادات))¹⁷

ورأى الدكتور العمري أن الخطاب في نهج البلاغة منه تحولات تتناسب والمقام الذي يرى فيه السارد أهمية

عرضه للمتلقي. والسرد الحكائي يظهر السرد الحكائي قدره على استعمال الألفاظ بشكل مختزل ويرتبط بأطراف. ثم البنية الشعرية التي تدرس من خلال الإيقاع والإيقاعات في خطاب المنهج تناولها العمري من ثلاثة محاور هية الداخلي والخارج والمتداخل



فرأى في الإيقاع الخارجي: (تجاذب وتعاقد بين الألفاظ وفق كيان رؤيوي ولغوي وهو يقوم على أساس التوازن بين الجمل والعبارات¹⁸) وفي الإيقاع الداخلي: إذ تركز الإيقاعات على استقلال الأصوات بين الكلمات وهذا ما ينقل الخطاب من مستوى لغة الكلام العادية إلى الكلام المسمى بالشعرية.

وفي الإيقاع المتداخل: أظهر أن الإمام في بعض خطبه يزاوج بين التقفية وبين إرسال النص ولأن هذه الانتقالات في الخطاب تفرضها طبيعة الخطاب أو متطلبات السياق.

درس الدكتور العمري المظهر الصوري في الخطاب فتحدث عن الصورة الذهنية، والصورة البصرية، الصورة الكلية. ورأى أن الصورة خلق فني فحاورها و أوضح معالمها وأنها تقوم على أهمية القيمة التعبيرية للنص، وتطرق إلى استبعاد الخطاب للحاسة البصرية، وأنه هو ربان طرف وقد تجلى له أن الصورة الذهنية شكلت راقداً من روافد الإيصال للمتلقي الوحي وسيلة فنية هو حرية لنقل التجربة¹⁹. ((

ويأتي تشكيلها وفق مفاهيم والصورة الكلية هي التي تجمع الصفات الذاتية للعلاقات التصويرية بين طرفين القائم على أساس المثابرة ورأى الدكتور العمري أنها تأتي في سبيل استنهاض المتلقي وبث الروح في المجتمع أما المظهر الجمالي وفقد ربطه بالتصوير بأنماطه والإيقاع بوصفه العنصر المنتج من خلال ترابط العناصر السابقة الذكر فدرس اللفظ والمعنى والإيحاء والأسلوب وتكثيف الفكرة ورأى أن جمالية الخطاب تتحدد من خلال متركزات التي تنشر على مساحته النصية.

والبنية النصية: التي تتشكل عنده من تصافير المعطيات النصية والتماسك النصي في نظره في كتاب نهج البلاغة يقوم على أساس تماسكه في البنيات النصية الصغرى لتصل في بنائها إلى البنيات الكبرى والدلالة النصية، وهي عند كريستيفا (الإنتاج الدائم)²⁰ وعنده بعد عرض النصوص وتحليلها. تنبض من بنيات النص المكون له وهي تعتمد على فهم كل جملة من مكونات النص وينتهي الدكتور العمري إلى أن الخطاب العلوي يذهب في طريق دائري بعيد عن التشجير النصي في عرض الأفكار ولأن الخطاب العلوي جزء من الحضارة فهو من ناحية اجتماعياً حمل عروضاً للآراء الاجتماعية والعلاقة بين السلطة والمجتمع ووضع الحقوق والواجبات موضح علاقة السلطة بالمجتمع من تكون المخاطب في نهج البلاغة إماماً لكنه خطاب غير سلطوي تعمل بقوانين تصب في مصلحة المجمع والعلاقات الفردية خطيت بنصبيها عند العمري فوضع أسس العلاقات الأدبية والفردية القائمة على الفضائل، والخطاب السياسي الذي ينطوي على مفاهيم إشاعة العدل والمساواة.

ومن متركزات الخطاب السياسي التبعية العامة التي ناقش الدكتور العمري في خطب الإمام مخلص منها إلى أن وهذا من إقامة الحق الإمام لا تكن له غاية في الخلافة إلا التقنيات المسلم بط. والخطاب الاقتصادي الذي حاوره وأوضح فيه منهجية الإمام العادلة في سبل الحفاظ على الثروة من ضعفاء النفوس وحدد في دراسته مرارته من مصادر الثروة ومع إيجاد قوانين عادلة تشمل تقسيم الإمكانات في التوزيع ثم فرع من أنماط الخطاب الإداري في إشاعة العدل وتوزيع عمالة الخراج وهي أعمال قديمة تقدم بها الإدارة العادلة والحديث النصي فيها ما هو الإشارة ومحاوره للعامة فالإمامة لم تغصب المجتمع على الصمت وأنها على استعداد تام لمناقشة الأمور والمشورة مع كافة الناس.

فضلا عن الخطاب الفقهي الذي ناقشه الدكتور العمري بوصفه قضية مهمة لكنه رأى أن الخطاب الفقهي الذي عنوانه ب / خطاب الزهد وعلوم الحديث وراته هيد منها - لوعياً تدل على النصح الروحي والعلم اليقيني العامل القائم في منهج الإمام في تناول مستويات هذه الخطاب على الأمر على الصعيد اللغوي درسها على المستوى الإبلاغي والإفهامي والحجائي والتأملي ووصل فيها أنها تقوم على مبادئ الوضوح والتفصيل والتكرار تنحصر في التصوير والإشارة والخيال وقد قامت من الناحية الحجاجية على الترضية والانسجام والقياس.



الهوامش:

- 1 قراءة في نهج البلاغة ، ص: 23.
- 2 مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج/2/ ص: 431.
- 3 أعيان الشيعة، ج/1، ص: 341.
- 4 نظرية التأويل وفائض المعنى، ص: 12.
- 5 ابن أبي حديد، ص: 265/19.
- 6 تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، ص: 228.
- 7 الخطاب في كتاب نهج البلاغة، ص: 17.
- 8 استقبال النص عند العرب، ص: 113.
- 9 سلطة الحق، ص: 289.
- 10 سياق التلقظ وقيمه في تحليل الخطاب، ص: 49.
- 11 النص والسلطة الحقيقية، ص: 8.
- 12 سيكولوجية العلاقة بين الجماعات، ص: 151.
- 13 رحلة ختامية في زمان السرد، ص: 56.
- 14 ابن أبي حديد 27/7.
- 15 ابن أبي حديد 224/2.
- 16 بنية الشكل الروائي/ ص: 119.
- 17 ابن أبي حديد 8/، ص: 183.
- 18 أدب الشريعة الإسلامية، ص: 183.
- 19 فصول في الشعر / ص: 162.
- 20 انفتاح النص الروائي: 20

المصادر والمراجع:

- أدب الشريعة الإسلامية – د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين العالمية، قم، إيران، ط/1، 1424 هـ.
1. استقبال النص عند العرب- د. محمد رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/1، 1999م.
 2. أعيان الشيعة، محسن الأمين، دمشق، مطبعة ابن زيدون ج/1، ص: 341.
 3. انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، الدار البيضاء، ط/1، عام 1989م.
 4. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط/1، 1990م.
 5. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، 1990م.
 6. الخطاب في كتاب نهج البلاغة، العمري، ص: 17.
 7. رحلة ختامية في زمان السرد، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، مجلة أوان، ع/9، 2005م.
 8. سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، مكتبة الروضة الحيدرية، ص: 289.
 9. سياق التلقظ وقيمه في تحليل الخطاب، محمد الناصر العجمي، مجلة فصول، عدد/62، 2003م.
 10. سيكولوجية العلاقة بين الجماعات، أحمد زايد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م.
 11. شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان.



12. فصول في الشعر، أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1999م.
13. مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، ج/2/ ص: 431.
14. النص والسلطة الحقيقية، نصر أبو زيد، ص: 8.
15. نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكو، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/1، 2003م.